

أضواء البيان

. @ 386

فقوله تعالى : في هذه الآية { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ }
طُلُمًا وَعُلُوءًا { دليل واضح على أن فرعون كاذب في قوله : { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا }
مَا أَرَى } . .
وكقوله تعالى في سورة بني إسرائيل : { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ
إِلَّا رَبَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَا تَدْرُونَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا } فقول نبي ﷺ موسى لفرعون { لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا
رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } مؤكداً إخباره بأن فرعون عالم بذلك بالقسم ، وقد دل
أيضاً على أنه كاذب في قوله : ما أريكم إلا ما أرى . .
وكان غرض فرعون بهذا الكذب ، التدليس والتمويه ليظن جهلة قومه ، أن معه الحق ، كما
أشار تعالى إلى ذلك في قوله : { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ } وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ
كَانُوهَا قَوْمًا فَاسْقَيْنَ } . .
وأما الأمر الثاني وهو قوله : { وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } فقد بين
تعالى كذبه فيه في آيات من كتابه كقوله تعالى : { فَاتَّبِعُوا أَمْرًا فِرْعَوْنُ
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنُ بِرَشِيدٍ } . وقوله تعالى : { وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَى } . .
وقال بعض العلماء في قوله : { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى } أي ما أشير عليكم
إلا بما أرى لنفسي ، من قتل موسى . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } . هذه الآية الكريمة ، وأمثالها من الآيات
الدالة على أن السيئات لا تضاعف ، ولا تجزي إلا بمثلها بينها وبين الآيات الأخرى الدالة على
أن السيئات ربما ضوعفت في بعض الأحوال ، كقوله تعالى في نبينا صلى الله عليه وسلم { إِذَا
لَا ذَنْبَ لَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ } وقوله تعالى في نسائه رضي الله
عنهن { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ } إشكال معروف . وقد قدمنا الجواب عنه موضحاً في سورة
النمل ، في الكلام على قوله تعالى : { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبِّتَتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } . قوله
تعالى : { وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِئَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُوْءَلٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ يَرْزَقُوْنَ فِيْهَا بِغَيْرِ حِسَابٍۙ .